(٩)

رسل رسول الله ..

كان رسول الله ، ﷺ ، أسبق من قريش إلى إرسال رسله إلى مكة . فإنه لما وافى الحديبية بعث إلى قريش خراش بن أمية ، على جمل لرسول الله كان يسمَّى «الثعلب». وأمره أن يبلغ أشراف مكة أنه لم يأت لقتال ، وإنما جاء معتمراً ، وساق الهدي ، وأنه سيعود بعد عمرته إلى المدينة . وكان غضب قريش وغيظها قد بلغ مداه لما علموا من عزم النبي ﷺ على دخول مكة ، فعقر عكرمة بن أبي جهل ذلك الجمل ، وأرادت قريش قتل خراش ابن أمية ، فمنعته منها الأحابيش (قبائل من خزاعة ، وبني الهون ابن خزيمة بن مدركة ، وبني عبد مناة بن كنانة ، وبني المصطلق كانوا حلفاء لقريش ، استنهضتهم لحرب رسول الله ﷺ ومنعه من دخول البيت عام الحديبية)[1] فخلوا سبيله فأتى رسول الله ﷺ فأخبره بما لقي

---

(١) البخاري ، الحديث رقم ٤١٧٨ و٤١٧٩، وهو جزء من حديث المسور ابن مخرمة ومروان بن الحكم السابق تخريجه .

من قريش . وأراد النبي ﷺ أن يرسل واحداً من كبار أصحابه إلى مكة ، ليذهب فزع قريش من قدوم المسلمين عليهم ؛ فدعا عمر بن الخطاب ليكلفه بذلك ، فقال له عمر: « يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي ، وقد عرفت قريش عداوتي لها ، وليس بها من بني عَدِيٍّ أحد يمنعني ، وإن أحببت يا رسول الله دخلت عليهم » . فلم يقل له رسول الله ﷺ شيئاً !

فقال عمر: « يا رسول الله ، ولكني أدلُّكَ على رجل أعزَّ مني بمكة ، وأكثر عشيرةً وأمنع ، وأنه يبلغ لك ما أردت: عثمان بن عفان » . فدعا الرسول ﷺ عثمان بن عفان فقال له: « اذهب إلى قريش وأخبرهم أنا لم نأت لقتال ، وإنما جئنا عُمَّاراً ، وادعهم إلى الإسلام »[1]. وأمره أن يأتي بمكة رجالاً مؤمنين ونساءً مؤمنات فيدخل عليهم ويبشرهم بالفتح ، ويخبرهم أن الله تعالى سيظهر دينه بمكة حتى لا يُستخفى فيها بالإيمان[2]. فانطلق عثمان إلى مكة حاملاً رسالة النبي ﷺ إلى أهلها .

---

(١) فتح الباري، كتاب الشروط، جـ ٥ ص ٣٢٩.

(٢) وتأمل قوة يقين رسول الله ﷺ وثقته بوعد ربه التي جعلته يبشر المستضعفين بمكة بفتحها واستعلاء الإيمان فيها وإظهار الله دينه على الشرك وأهله، كل ذلك وهو ﷺ وأصحابه ممنوعون من دخول مكة ! !

وليتأمل من أحب موقف عمر بن الخطاب ، ﷺ ، وهو المعروف بقوته وشجاعته وصدق بأسه في الحق ، وكيف خاف هنا على نفسه التهلكة فلم يمنعه شيء أن يذكر ذلك لرسول الله ﷺ ويعتذر به عن قبول المهمة التي كلفه بها. وليتأمل مع ذلك ، موقف عثمان بن عفان ، ﷺ ، المشهور برقته ولين جانبه كيف لم يتردد لحظة في تنفيذ أمر رسول الله ﷺ ؛ وليعلم من ذلك أن لكل حال ما يناسبها من المواقف ، وأن الرجال المصطفين لصحبة الرسل ينزلون كل قول في موضعه ويتصرفون في كل حال بما يليق بها ، وأنهم ليسوا قوالب جامدة وإنما هم قلوبٌ ذكية واعية ، استحق أصحابها أن يكونوا ذلك الجيل القرآني الفريد الذي رباه النبي ﷺ .

ذهب عثمان برسالة النبي ﷺ إلى قريش ، فأبت قريش أن يدخل الرسول ﷺ وأصحابه مكة من عامهم ذاك . وقالت لعثمان «قد سمعنا ما تقول ، ولا كان هذا أبداً ، ولا دخلها علينا عَنْوَةً أبداً ، فارجع إلى صاحبك فأخبره أنه لا يصل إلينا»! وطاف عثمان ﷺ بأشراف مكة ـ رجلاً رجلاً ـ فكان جوابهم إياه واحداً : أن محمداً لا يدخل علينا مكة هذا العام !

وأتى عثمان المستضعفين من المؤمنين والمؤمنات ، فبشرهم ببشارة رسول الله لهم ، ففرحوا واطمئنوا ، وقالوا له «أقرئ رسول الله منا السلام».

وكان من تعظيم عثمان ، ﷺ ، لرسول الله ﷺ أنه لما فرغ من رسالته إلى قريش قالوا له : « إن شئت أن تطوف بالبيت فطُفْ »! فقال عثمان لهم : « ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله ﷺ ».

وقال بعض المسلمين وهم بالحديبية ، قبل أن يرجع عثمان ، خلص عثمان من بيننا إلى البيت فطاف به ، فقال رسول الله ﷺ : « ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون ». قالوا : « وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص إليه ؟ » قال : « ذلك ظني به! ألا يطوف بالكعبة حتى نطوف ! ».

فلما رجع عثمان إلى رسول الله ﷺ قال له المسلمون : « اشتفيت من البيت يا أبا عبد الله »؟ (يريدون طفت به) فقال لهم عثمان : « بئس ما ظننتم بي ! فوالذي نفسي بيده لو مكثت مقيماً بها سنةً ورسول الله ﷺ مقيم بالحديبية ما طفت حتى يطوف رسول الله . ولقد دعتني قريش إلى أن أطوف بالبيت فأبيت ! » قالوا : « كان رسول الله ﷺ أعلمنا وأحسننا ظناً »[1]!

* * *

(١) كنز العمال، من مراسيل عروة، الحديث رقم ٣٠١٥٢. ولم يذكره صديقنا الدكتور محمد مصطفى الأعظمي فيما جمعه من رواية أبي الأسود عن عروة لمغازي رسول الله ﷺ، ط مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض ١٩٨١.